Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Ansiklopedisi
Tarandı
A. Yücel

ابن رشد

شرح "البرهان" لأرسطو
و
تلخيص "البرهان"

حققه وشرحه وقدم له
الدكتور عبد الرحمن بدوي

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

السلسلة التراثية
(١٢)

جميع حقوق الطبع محفوظة
الكويت
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير عام

١ ـ شروح ابن رشد على كتاب « البرهان »

في مقدمة نشرتنا لكتاب « البرهان » من « الشفا » لابن سينا (القاهرة ط١ سنة ١٩٥٤ ، ط٢ سنة ١٩٦٥ ، الكويت ط٣ سنة ١٩٧٠) قلنا كل ما نستطيع قوله عن البرهان عند أرسطو : نظريته ، وأقسامه ، كما عرضنا بالتفصيل انتقال كتاب « التحليلات الثانيـة » ، أي كتاب أرسطو في البرهان ، الى العرب والمسلمين ، ومن تناوله أو تناول موضوعه من الفلاسفة المسلمين حتى ابن سينا .

لهذا سنقصر القول ها هنا على أعمال ابن رشد حول كتاب « البرهان » لأرسطو ، وما كان لها من تأثير في العصور الوسطى الأوروبية .

وابن رشد ، كما ذكرنا في مقدمة نشرتنا لتلخيص كتاب « الخطابة » لابن رشد (القاهرة سنة ١٩٦٠) تناول كتب أرسطو المنطقية الثمانية على الأنحاء الثلاثة المعهودة عنده في تناول أرسطو ، أعني : الجوامع ، التلخيصات ، التفاسير .

بيد أنه لم يصلنا من الأصل العربي لهذه الأنواع الثلاثة ، فيما يتعلق بكتب أرسطو المنطقية ، غير الجوامع والتلخيصات . أما الأصل العربي للتفاسير فكان من المعلوم حتى سنوات قليلة خلت أنه لم يصلنا منه شيء . لكن منذ بضعة أعوام تبين أنه قد وصلنا النصف الأول من « تفسير كتاب البرهان » ـ وهو الذي ننشره ها هنا ولأول مرة .

والترجمات اللاتينية هي الأخرى لا تحتوى إلّا على الجوامع والتلخيصات لكتب

أرسطو المنطقية وعلى الجوامع والتلخيصات والتفسير أيضاً لكتاب « البرهان » كاملاً . ولولا ضياع النصف الثاني من « تفسير كتاب البرهان » في نصه العربي ، لكان حال الترجمات اللاتينية ها هنا هي تماماً كحال ما لدينا من أصول عربية . وهذه الترجمات اللاتينية قد طبعت مع الطبعة الأولى editio princeps لمؤلفات أرسطو في ترجمة لاتينية في ثلاث مجلدات (من قطع الورقة) في پادوڤا سنة ١٤٧٢ ـ ١٤٧٤ ، وفيما تلا ذلك من طبعات طوال القرن السادس عشر ، وأفضلها طبعتا الجونتا Giunta في البندقية : الأولى في سنة ١٥٥٠ ـ ١٥٥٣ في (٩ مجلدات من قطع الورقة) ، والثانية في ١٠ مجلدات سنة ١٥٦٢ (مع فهرس زيمارا Zimara)، ثم أعيد طبعها في سنة ١٥٧٣ ـ ١٥٧٥ (وقد صُوّرت وطبعت بالتصوير في فرنكفورت سنة ١٩٦٢) ، ثم طبعت أيضاً سنة ١٥٦٠ في ١١ مجلداً (في حجم الثمن) بدون فهرس زيمارا .

كذلك نسب إلى ابن رشد عند اللاتينيين في العصور الوسطى الأوروبية كتابان آخران هما : Quaesitae in libros log. Aristotelis Epitome . وكما قال برانتل Prantl « تاريخ المنطق في الغرب جـ٢ ص ٣٧٤ لبيتسك سنة ١٨٦١) فإن هذين الكتابين « من المؤكد أنهما نسبا دون حق إلى ابن رشد ، لأن كتاب Quaesita يثير الشك الجادّ لأسباب شكلية » منها أن المؤلف يوجه اللوم إلى الآخرين بشكل عام وبعبارات استهزاء ، وهي لهجة تخالف ما نعرفه عن ابن رشد عندما يقع له خلاف مع الآخرين . وكتاب Epitome يتناقض في محتواه مع أقوال ابن رشد في كتبه الصحيحة النسبة إليه : ففضلا عن اختلاف المصطلحات اختلافاً ليس مرجعه الى المترجم ، فإنه يتناقض مع أقوال ابن رشد الصريحة فيما يتعلق بتقسيم مادة البرهان ، وما أورده في تلخيصه لإيساغوجي وللجدل . كذلك من الملاحظ أن مؤلف كلا الكتابين ليس شخصا واحدا ، بسبب ما بين كلا الكتابين من خلاف في مسائل بعينها وردت في كليهما .

واستناداً الى الترجمة اللاتينية للتلخيص والتفسير لكتاب « البرهان » يدلي برانتل (حـ٢ ص ٣٨٤) برأيه فيهما فيقول إن « التلخيص » : « يعرض المسائل

الرئيسة بوضوح ، ولكنه لا يقدم شيئاً خاصاً أصيلاً (من عند ابن رشد) . و « التفسير » هو الآخر يلتزم بالنص عادة ، وعلى الرغم من أنه يذكر أحياناً ثامسطيوس ، وفي أحوال أندر يذكر الاسكندر الافروديسي فإنه لما يدعو إلى الدهشة أنه لا يستند إلى سائر كتب أرسطو من أجل الشرح إلّا نادراً جداً : فهو مثلاً في كلامه عن النص الخاص بالمبادئ الأربعة (ورقة ٢١٧ من طبعة سنة ١٥٥٢) لا يشير الى كتاب « ما بعد الطبيعة » . ولهذا ليس لنا أن نبرز إلّا القليل (فيما فسّره) . ففيما يتعلق أولاً بالصلة بين كتاب القياس وكتاب البرهان ، لا نجد إلّا ماورد عادة عند سائر العرب ، أعني التمييز بين المادة والصورة في الأدلة . وبينما ابن رشد يربط بين « التحليلات الأولى » و« التحليلات الثانية » على أساس أن المضمون يمكن أن يتلو العنصر الأعم والأكثر جوهرية للصورة دون تكرار مملّ ، نراه يهاجم بعنفٍ رأى ابن سينا حين يضع ميدان الجدل بين التحليلات الأولى والتحليلات الثانية . كذلك نراه يهاجم الفارابي في عدد من الآراء ، وكذلك يفعل في كل مجادلاته حول العلية ، والذاتي ، والمفرد ، والمحمول الأول ، إذ يرفض كل انحراف عن نص أرسطو يرتكبه الفارابي أو ابن سينا . وكذلك يتمسك تمسكاً شديداً برأي أرسطو في تفسيره للموضع (القسم ٤ ، تعليق ٦٥٥ وما يتلوه في الترجمة اللاتينية) الخاص بالضرورة في القياس ، وفي مسألة البرهنة على المبادىء في العلم الواحد ، وفي الموضع (القسم ٤ ، تعليق ١٦٢) الذي استخرج منه البعض مبدأ الهوية ، وفي الكلام عن « برهان الكم » ، و « برهان الماهية » ، وخصوصاً في كلامه عن الصلة بين البرهان والحد » (پرانتل : « تاريخ المنطق في الغرب » حـ٢ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥) .

وهذا التقويم في مجمله صحيح . فإن فضل ابن رشد الأكبر هو في ايضاح نص أرسطو المترجم الى العربية ، ووضع تقسيمات وتمييزات تبين مفاصل أقوال أرسطو ، وهو أمر سيتأثر به فلاسفة العصور الوسطى في أوربا ، وعلى رأسهم البرتس الكبير ، ثم في الدفاع عن آراء أرسطو دون أي انحراف ، ومن هنا هجومه الشديد على المنحرفين عن أرسطو من الشراح ، والفلاسفة الاسلاميين خصوصاً ابن سينا .

٢ ـ تأثير شروح ابن رشد في المنطق في عصر النهضة

ولهذا فإن مناطقة عصر النهضة الأوروبية ـ في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ـ حينما أرادوا العودة الى منطق أرسطو في أصوله ، ابتغاء التخلص من مماحكات الاسكلائيين (فلاسفة العصور الوسطى في أوربا) ، راحوا ينهلون من النص الأصلي (أو المترجم) للأورغانون (كتب أرسطو في المنطق) مستعينين بشروح ابن رشد المختلفة ، كما ترجمت الى اللاتينية . وطبعت مع الترجمة اللاتينية كتب أرسطو المنطقية في سنة ١٤٨٣ ثم في سنة ١٥٥٠ ـ ١٥٥٢ (المجلد الأول) .

أ ـ ومن أبرز رجال هذه الحركة باكلوريوس Bacilerius الذي شرح « الأورغانون » فصلاً فصلاً مستعيناً بتفسير ابن رشد ، وذلك في كتابه في المنطق[1] ، وهو يقول صراحة إنه يورد فيه « كل أقوال أرسطو وابن رشد في المنطق بإيجاز شديد » (طبعة سنة ١٥١٢ ص ٢ أ) .

ب ـ ويتلوه في الأهمية توماس دي فيو كايتانوس Thomas de Vio Caietanus الذي عرض رأي ابن رشد في نظرية البرهان عرضاً وافياً ، وذلك في شرحه على « التحليلات الثانية »[2] ومفادها أن كل برهان إنما ينتج عن معرفة سابقة مكتسبة وليست فطرية ، (ص٢ أ) . وينبغي على كل برهان تام أن يبين هل الشيء موجود ، وماهو ، ولم هو ، وكيف هو ـ وهي المطالب الأربعة التي وضحها ابن رشد بكل جلاء في تلخيصه وفي تفسيره لكتاب البرهان . كذلك يورد بيان ابن رشد لأنواع البرهان الثلاثة : البرهان الذي يبدأ مما هو أعرف عند الطبيعة ، والبرهان الذي يبدأ مما هو

(1) Tiberius Bacilerius: Lectura in universam Aristotelis et Averrois Dyalecticam facultatem. Papie, 150, 1512.

(2) Thomas de Vio Caietanus: In libros Pasteriorum Analyticorum Aristotelis additamenta. Venetii, 1505.

أعرف عندنا ، والبرهان الذي يبدأ مما هو أعرف عند الطبيعة وعندنا معاً (ابن رشد : تفسير كتاب « السماع الطبيعي » الترجمة اللاتينية)فالأول يستنبط النتيجة من السبب ، والثاني يستقرىء الكلي من معرفة الجزئي ، والثالث يتطابق فيه التصور مع الوجود .

جـ ـ ثم إننا كثيراً ما نجد نظرية ابن رشد في البرهان ليس فقط في كتب المنطق ، بل وأيضاً في كتب التمهيد النظري لدراسة الطب ، وأصحابها من المتأثرين بجالينوس .

وكان لرأي ابن رشد في وحدة العقل الفعّال وما يترتب على ذلك من القول بازدواج الحقيقة ـ بمعنى أن القضية الواحدة يمكن أن تكون صادقة دينياً وكاذبة فلسفياً أثر ضئيل في المنطق عند هؤلاء الرشديين اللاتينيين ، وممّن خاض في هذا الاتجاه نذكر بين الايطاليين : أكلينوس[1] Achillinus (١٤٦٣ ـ ١٥١٢) ، الذي تناول بعض موضوعات المنطق على نحو غير منتظم ، لأنه إنما عالج المسائل المتصلة بالعلوم الطبيعية . ومن رأيه أن البرهان في العلوم الطبيعية يمكن أن يبدأ من الوقائع المفردة إلى المبادىء ، وبالعكس . والبرهان الكامل هو الذي يسلك في الاتجاهين : من الوقائع إلى المبادىء ، ومن المبادىء إلى الوقائع . أما في الرياضيات فلا يقبل إلّا البرهان القبلي a priori البادىء من العلة الصورية ، ولا يقبل فيها البرهان البعدي a posteriori البادىء من النتيجة .

ولما كان اتباع أرسطو في بادوفا (بجوار البندقية في شمالي ايطاليا) متجهين إلى العلوم الطبيعية ، فإننا نعثر في مؤلفاتهم الخاصة بالعلوم الطبيعية على أبحاث فرعية تتعلق بنظرية البرهان ، وهم فيها متأثرون بابن رشد وجالينوس معاً . ومن بين أبحاثهم في هذا المجال الكلام عن تصنيف ابن رشد لأنواع البرهان ، بما في ذلك البرهان الدوري ، وما لذلك من امكانيات تطبيقه . ونذكر من هؤلاء الأرسطيين

(١) راجع كتابه Alexander Achillinus: Opera omnia. Venetiis, 1568

الپادوڤانيين : بوكافريئوس Buccaferreus ، وكان تلميذاً لأكّلينس[1] .

د ـ وأوفر مناطقة القرن السادس عشر حظاً من الانتاج في المنطق هو أوغسطينوس نيفوس Augustinus Niphus (١٤٧٣ ـ ١٥٤٦) الذي شرح كل أسفار « الأورغانون » شرحاً مفصلاً وافياً في خمس مجلدات على النحو التالي :

1. Dialectica ludicra (recognita). Venetiis, 1521.
2. Super libros Aristotelis peri Hermenias ... Commentaria, Venetiis, 1554.
3. Super Libros Priorum Analyticorum Commentaria. Venetiis, 1554.
4. In Aristotelis libros Posteriorum Analyticorum ... Commentaria. Venetiis, 1565.
5. Aristotelis ... Topica inventio ... interpretata atque exposita. Parisiis, 1540.
6. Expositiones in libros de Sophisticis elenchis Aristotelis. Parsisiis, 1540.

وقد صدر من هذه الشروح ست وعشرون طبعة على الأقل . وهو في هذه الشروح يستند الى الأصل اليوناني للأورغانون ، مستعيناً بمفسري أرسطو اليونانيين . ومع ذلك نجد أصداءً لشروح ابن رشد ضمن شروح نيفوس التي شاء منها أن تلتزم بالأصل اليوناني وأن تستبعد انحراف الفلاسفة العرب عن الأصل الأرسطي ، وذلك لأن نيفوس كان في المرحلة الأولى من حياته العلمية ذا نزعة رشدية ، كما لاحظ ڤلهلم رسه[2] في كتابه العظيم وعنوانه : « المنطق في العصر الحديث » .

فهو يأخذ برأي ابن رشد في رفض الشكل الرابع من القياس ووصفه إياه بأنه منافٍ للطبع[3] ويشير إلى ما رآه ابن رشد من وضع مبادىء العلم على شكل

(١) راجع كتابه Ludovicus Buccaferreus: in libros Aristotelis de generatione et corruptione ... Commenutaria. Venetiis, 1571.

(2) Wilhelm Risse: Die Logik der Neuzeit.1. Band (1500 - 1640) S. 218. Stuttgart - Bad Cannstatt, 1964.

(3) Niphus: Prior. 26 b.

هندسي .

هـ ـ وأوضح مما عند نيفوس نجد تأثير ابن رشد عند بورانا Burana ، ولا عجب لهذا فهو الذي نشر مؤلفات أرسطو مصحوبة بشروح ابن رشد ، في طبعة سنة ١٥٥٠ ـ ١٥٥٢ في البندقية ، فترجم نص أرسطو اليوناني الى اللاتينية من جديد ، وزوده بشروح جمع فيها بين شروح الاسكندر الأفروديسي والشرّاح اليونانيين المتأخرين ، والشرّاح العرب ، وفي بعض الأحيان يورد أقوال الشراح الاسكلائيين اللاتينيين . وفي شرحه هذا يجمع بين طريقة التفسير Commentum وبين اثارة المسائل Quaestio وهو حين يذكر اسم ابن رشد يورده في صورة أقرب ما تكون الى الرسم العربي ، هكذا : Alulidus Rasadis (أبو الوليد [ابن]رشد) . (١٤٦٠ ـ ١٥٣٢) .

و ـ كذلك نذكر من الرشديين الايطاليين مرقس انطونيوس زيمارا Zimara ، وإن كان لم يؤلف متناً في المنطق ، لكن تناول بعض مسائل المنطق في كلامه عن العلم ونظرية المعرفة[1] .

ز ـ و شرح بلدو ينوس[2] Balduinus بعض أجزاء من « الأورغانون » مهتماً بذكر آراء الشرّاح اليونانيين وابن رشد والاسكلائيين ـ وفي كل مرة تقريباً يدافع عن وجهة نظر ابن رشد . ولا يختلف معه إلّا في مواضع قليلة : مثلما حدث في التمييز بين أنواع المعرفة السابقة Praecognitio (Expos. 115) . وفي المسائل Quaesita يبحث مثلاً في المعاني المختلفة لتصور المنطق ، ويفحص عن حجج دُنس اسكوت في تصوره للمنطق بوصفه علماً ، ويبين ما وقع فيه توما الأكويني من تناقض في تحديد لموضوع المنطق ، ويرفض في هذا أيضاً آراء دنس اسكوت ويحي النحوي ، ويوحنا جندفينسس Gandaviensis وزيمارا، ويفصل في الأمر وفقاً لرأي ابن رشد (Expos.

(1) Marcus Antonius Zimara: Questio de primo cognito. Lugduni, 1530.

(2) Hieronymus Balduinus: Expositio in libellum Porphyrii de quinque vocibus ... Venetiis, 1562, Varii genesis in logica quaesita, ivi, 1569, Expositio in Organum Aristotelis, ivi 1575, Expositio in librum I posteriorum Aristotelis, ivi, 1589.